أختاه قفي

إبراهيم الغامدي

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

إليك..

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يــوم الــدين .. الذي لا فوز إلاَّ في طاعته، ولا عزَّ إلا في التذلُّل لعظمته، ولا غــنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلاَّ في الاستهداء بنــوره، ولا حياة إلاَّ في رضاه، ولا نعيم إلاَّ في قربه، ولا صــلاح للقلــب ولا فرح إلاَّ في الإخلاص له، وتوحيد حبّه، الذي إذا أُطيع شكر، وإذا عصى تاب وغفر، وإذا دُعي أجاب، وإذا عومل أثاب.

وسبحان من سبَّحت له الســماوات وأملاكهــا، والنجــوم وأفلاكها، والأرض وسكاها، والبحار وحيتاها، والشجر والدوابُ والرمال، وكل رطب ويابس، وكلّ حي وميت.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشــه، ومداد كلماته .. وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وحجــةً علــى الخلائق أجمعين .. شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضــع عنــه وزره وجعل الذلَّة والصغار على من خالف أمره .. وبعد:

• **أختاه..**

إليك هذه الكلمات التي خرجت من قلبي، فلعلَّهــا تصــل إلى قلبك، وامتزجت بروحي، فلعلها تمتزج بروحك .. كتبتها بمــداد

المحبة والصفا، والنصح والوفا، فلعلها لا تجد عن نفسك الصـــافية مصرفا..

أسعدك الله في دنياك وأخراك، ورفع درجتك، ونور بصيرتك، وهداك سبيل الرشاد.

أخوك

أبو حسان

• أختاه..

إنما مثلي ومثلك كمثل أخٍ كانت له أخت، وكانت هذه الأخت تجري في طريق الحياة جريًا شديدًا، وتسعى سعيًا حثيثًا، شاخصةً ببصرها إلى أعلى، لا تتبيَّن مواضع قدميها.

تجري وتجري .. وهمها تحقيق أعلى أنواع اللذَّة، وأقصى غايات السعادة.

تجري وتجري .. وهي لا تفكر بالتعب ولا تشعر بالنصب.

تجري وتجري .. وهي لا تحس بالدنيا.

تجري وتجرى .. ثم آه!

يخرج أخوها .. ويقف في منتصف الطريق، ويقول لأخته: قفي!

تفاجأ هذه الأخت بأخيها، وتصرخ في وجهه: كيف أقف؟ كيف وأنا في نشوة الشباب ومقتبل العمر وزهرة الحياة؟.. كيف أقف؟! كيف؟!

ثم ترفع يديها الرقيقتين، تريد أن تبطش بأخيها الذي حرمها من سعيها خلف الملذَّات، وجريها راء الشهوات، رفعت يديها ثم ... الله أكبر!

يشير هذا الأخ الطيب إلى أخته، ويقول لها: انظري ماذا كان ينتظرك، لو أنك واصلت الجري و لم تقفي ..

هل تعرفين ماذا كان ينتظرها أيتها الأخت؟

كان ينتظرها في آخر الطريق حفرة عميقة ذات هوَّة سحيقة..!

فأكبت هذه الأخت على يد أخيها تُقبلها، وتشكر له نصحه، وتحمد له شفقته.

* * *

• **أختاه..**

أنت تلك الأخت، وأنا أخوك الناصح لك الذي يقول لك قفي..

قفي مع نفسك لحظة، حاسبيها كما يحاسب الشريك شريكه، واقرئي هذه الورقات التي كتبها : شابٌ أعرض عن ذكر الله عشرين سنة من عمره.

غاص فيها في بحار الشهوات، وأرسى قواربه في شواطئ الملذَّات، وعاشها هائمًا في دياجي الظلمات.

شاب ولج من المعاصي كلَّ باب، وهتك منها كلَّ حجاب، فصارت معيشته ضنكًا، ولياليه سودًا، وأحاطت به الهموم من كل مكان..

شابٌ .. عانى من الاكتئاب والحيرة والتخبط والفراغ كثيرًا وزمنًا طويلاً.

فلمَّا هداه الله، وأشرق نور الإيمان في قلبه، واتَّبع هدى الله؛ ما ضلَّ في هذه الدنيا بعد ذلك أبدًا، واتسع صدره بعد ضيق، وانشرح قلبه بعد اكتئاب، وارتاحت نفسه بعد تخبُّطٍ وحيرة .. فصعد المنبر

يتحدَّث إليك، وأمسك بالقلم يكتب لك، ومد يديه يريد إنقاذك.

فهل تسمعين منه؟

هل؟

* * *

قَبل أَن تعصِي الله

• **أختاه..**

اسمعي الله ﷻ وهو يقول: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**﴾ (٢).

سبحان الله!

هذا الكون كلّه، بكلِّ صغيرٍ وكبيرٍ فيه، متوجِّهٌ إلى الله ﷻ يُسبحه ويُمجِّده ويسجد له..!

هذه الجبال الشامخات تسجد، وهذه النجوم النيرات تُسبِّح، وهذه الدواب العجماوات تلهج بالذِّكر..!

هذه المخلوقات العظيمة كلّها تقف منكسة رأسها لخالقها، متذلِّلة إليه، معترفة بالفضل له.

ولكن .. تبقى في هذا الكون مخلوقة صغيرة حقيرة ذليلة، خُلقت من نُطفة، فإذا هي خصيمة مبينة، هي تسير في واد، والكون كلُّه في وادٍ آخر .. تترك الصلاة، بالرغم أنَّ الجبال والأشجار تصلِّي وتسجد!.. تترك التسبيح، بالرغم أنَّ كلَّ ما حولها يلهج

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) سورة الحج: الآية ١٨.

بالذكر والتسبيح..!

إنَّ هذه المخلوقة هي الإنسانة العاصية لله ﷻ، فالله أكبر، ما أشدَّ غرورها!

الله أكبر .. ما أعظم حماقتها!

الله أكبر .. ما أذلَّها! وما أحقرها عندما أرادت أن تكون شاذة في هذا الكون المنتظم!

كم عُرضت عليها التوبة فلم تتب، وكم عُرضت عليها الإنابة ولم تنب!

كم عُرض عليها الرجوع وهي في شرودٍ وهربٍ من الله!

كم عُرض عليها الصلح من مولاها فلم تصطلح، ولوت رأسها مستكبرة!

* * *

• **أختاه..**

○ عليك قبل أن تعصي الله ﷯ فتصلين إلى هذا الوضع المزري، وهذه الحال المشينة، وتتردِّين إلى أسفل سافلين، بعد أن خُلقت في أحسن تقويم.

○ عليك أن تتفكَّري في هذه الدنيا وحقارتها، وقلَّة وفائها وكثرة جفائها، وخسَّة شركائها، وسرعة انقضائها.

○ وتتفكَّري في أهلها وعشَّاقها، وهم صرعى حولها، قد

عذَّبتهم بأنواع العذاب، وأذاقتهم أمرَّ الشراب، أضحكتهم قليلاً، وأبكتهم كثيرًا وطويلاً، سقتهم كئوس سُمِّها بعد كئوس خمرها، فسَكِروا بِحُبِّها، وماتوا بِهَجرها.

○ عليك قبل أن تعصى الله ﷻ أن تتفكَّري في الآخرة ودوامها، وأنها هي الحياة الحقيقية؛ فأهلها لا يرتحلون منها، ولا يظعنون عنها، بل هي دار القرار، ومحطّ الرحال، ومنتهى السير.

○ عليك قبل أن تعصي الله ﷻ أن تتفكري في النار وتوقدها واضطرامها، وبُعد قعرها وشدَّة حرِّها، وعظيم عذاب أهلها، تفكَّري في أهلها وقد سِيقوا إليها سود الوجوه زُرق العيون، والسلاسل والأغلال في أعناقهم، فلما انتهوا إليها فُتحت في وجوههم أبوابها، فشاهدوا ذلك المنظر الفظيع، الذي يُقلق القلوب ويُذهِب العقول، فتتقطَّع قلوبهم حسرةً وأسفًا: ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا**﴾ (١)..

فيأتي النداء من ربِّ العالمين: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ (٢)..

ثم قيل لهم: ﴿**هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (٣).

○ عليك أن تتفكَّري في أهلها وهم في الحميم، على وجوههم

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥٣.

(٢) سورة الصافات : الآية ٢٤.

(٣) سورة الطور : الآية ١٥.

يُسحبون، وفي النار كالحطب يُسجرون.

﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ [(١)]، فبئس اللحاف وبئس الفراش.

وإن استغاثوا من شدَّة العطش: ﴿**يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾[(٢)]..

فإذا شربوه قطَّع أمعاءهم في أجوافهم، وصهر ما في بطونهم .. شرابهم الحميم وطعامهم الزقوم: ﴿**لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ [(٣)]..

وهم يصطرخون فيها : ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [(٤)].

○ عليك قبل أن تعصي الله ﷻ أن تتفكَّري في الجنة، وما أعدَّ الله لأهلها فيها، مما لا عين رأت ولا أذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وما وصفه الله لعباده على لسان رسوله ﷺ من النعيم المفصَّل الكفيل بأعلى أنواع اللذَّة، من المطاعم والمشارب، والملابس والصور، والبهجة والسرور.

○ تفكَّري في الجنة، وتُربتها المسك، وحصباؤها الدر، وبناءها

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤١.
(٢) سورة الكهف : الآية ٢٩.
(٣) سورة فاطر : الآية ٣٧ .
(٤) سورة فاطر : الآية٣٧ .

لبن الذهب والفضة وقصب اللؤلؤ، وشرابها أحلى مـن العسـل، وأطيب رائحة من المسك، وأبرد من الكافور، وألذّ من الزنجبيـل، ونساؤها لو برز وجه إحداهنَّ في هذه الدنيا لغلب علـى ضـوء الشمس، ولباسهم الحرير من السندس والإستبرق، وخدمهم ولدانٌ كاللؤلؤ المنثور، وفاكهتهم دائمة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفـرش مرفوعة، وغذاءهم لحم طير مما يشتهون، وشرابهم خمرة لا فيها غول ولا هم عنها ينـزفون، وخضرتهم فاكهة مما يتخيَّرون، وفيها حورٌ عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون.

فهم على الأرائك متكئون، وفي تلك الرياض يحبرون، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

○ عليك قبل أن تعصى الله ﷻ أن تتذكَّري أنه قيومٌ، قـاهرٌ فوق عباده، مستوٍ على عرشه، منفردٌ بتدبير مملكته، آمرٌ ناهٍ، مرسلٌ رُسله، ومنـزِّلٌ كتبه، يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطـي ويمنع، ويعزُّ ويذل، ويحبُّ ويبغض، ويرحم إذا استُرحِم، ويغفر إذا استُغفِر، ويُجِيب إذا دُعِي، ويقيل إذا استُقِيل.

○ عليك أن تتذكَّري أنَّ الله ﷻ أكبر من كلِّ شيء، وأعظـم من كلِّ شيء، وأعز من كلِّ شيء، وأقدر من كلِّ شيء، وأعلم من كلِّ شيء، وأحكم من كلِّ شيء .. يسمع ضـجيج الأصـوات باختلاف اللغات على تفنُّن الحاجات فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرّم بإلحاح الملحين .. سواءٌ عنده مـن أسـرَّ القول ومن جهر به، فالسِّـرُّ عنده علانية، والغيب عنده شهادة ..

يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها، ومجاري القوت في أعضائها[١].

• **أختاه**... قبل أن تعصي الله تفكَّري!..

وتذكري..!

• **أختاه..**

كم ستعيشين في هذه الدنيا؟

ستين سنة؟.. ثمانين سنة؟.. مائة سنة؟.. ألف سنة؟.. ثم ماذا؟

ثم موت .. ثم بعث إلى جنان النعيم أو في نار الجحيم.

• **أختاه..**

○ **تيقَّني** حق اليقين أن ملك الموت كما تعداك إلى غيرك فهو في الطريق إليك.

○ واعلمي أنَّ الحياة مهما امتدَّت وطالت فإنَّ مصيرها إلى الزوال، وما هي إلا أعوام أو أيام أو لحظات، فتصبحين وحيدة فريدة لا حبيبات ولا أموال ولا صاحبات..

○ تخيَّلي نفسك وقد نزل بك الموت، وجاء الملك فجذب رُوحك من قدميك.

○ تذكَّري ظُلمة القبر ووحدته وضيقة ووحشته وهول مطلعه.

○ تذكَّري هيئة الملكين وهما يقعدانك ويسألانك..

(١) ابن القيم في مدارج السالكين (بتصرف).

○ تذكَّري كيف يكون جسمك بعد الموت؟.. تقطَّعت أوصالك وتفتَّت عظامك وبلى جسدك، وأصبحت قوتًا للديدان..

○ ثم يُنفخ في الصور .. إنها صيحة العرض على الله، فتسمعين الصوت، فيطير فؤادك، ويشيب رأسك، فتخرجين مغبرةً حافيةً عارية .. قد رُجَّت الأرض، وبُسَّت الجبال، وشخصت الأبصار لتلك الأهوال، وطارت الصحائف، وقلق الخائف..

وشاب الصِّغار، وبان الصَّغار..

وزفرت النار، وأحاطت الأوزار..

ونُصِب الصراط، وآلمت السياط..

وحضر الحساب، وقوي العذاب..

وشهد الكتاب، وتقطَّعت الأسباب..

فكم من عجوز تقول: وا شيبتاه!.. وكم من كبيرة تنادي: وا خيبتاه!.. وكم من شابة تصيح: وا شباباه!

برزت النار فأحرقت، وفزت النار غضبا فمزَّقت، وتقطَّعت الأفئدة وتفرَّقت.. والأحداق قد سالت، والأعناق قد مالت، والألوان قد حالت، والمحن قد توالت..

○ تذكَّري مذلَّتك في ذلك اليوم، وانفرادك بخوفك وأحزانك، وهمومك وغمومك وذنوبك، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمعين إلا همسًا، وجيء يومئذٍ بجهنم، يومئذٍ يتذكَّر الإنسان وأنَّى له الذكرى؟!.. قد مُلِئت القلوب رعبًا، وذُهلت المرضعة عن

رضيعها، وأسقطت الحامل حملها..

وتتبرئين حينها من بنيك، وأمك وأبيك، وزوجك وأخيك..

○ تذكَّري تلك المواقف والأهوال، يوم ينسى المرء كلَّ عزيزٍ وحبيب..

○ تذكَّري يوم تُوضع الموازين، وتتطاير الصحف، كم في كتابك من زلل، وكم في عملك من خلل..!

○ تذكَّري يوم يقال لك : هيَّا .. اعبري الصراط..

○ تذكَّري يوم يُناديك باسمك بين الخلائق: يا فلانة بنت فلان، هيا إلى العرض على الله .. فتقومين أنت، ولا يقوم غيرك لأنك أنت المطلوبة.

○ تذكَّري حينئذ ضعفك، وشدَّة خوفك، وانهيار أعصابك وخفقان قلبك .. وقفت بين يدي الملك الحقِّ المبين، الذي كنت تهربين منه، ويدعوك فتصدِّين عنه .. وقفت وبيدك صحيفة، لا تغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصتها، فتقرئينها بلسانٍ كليل، وقلبٍ كسير، قد عمَّك الحياء والخوف من الله، فبأيِّ لسان تُجيبينه حين يسألك عن عمرك، وشبابك، وعلمك، ومالك؟!.. وبأيِّ قدمٍ تقفين غدًا بين يديه؟!.. وبأيِّ عينٍ تنظرين إليه؟!.. وبأي قلب تُجيبين عليه؟!

ماذا تقولين غدًا له عندما يقول لك: يا أمتي،: لماذا لم تُجلِّيني؟ لماذا لم تستحي مني؟ لماذا لم تراقبيني؟.. أمتي، استخففت بنظري

إليك، ألم أُحسن إليك؟ ألم أنعم عليك؟

• **أختاه..**

أفلا تصبرين على طاعة الله هذه الأيام القليلة، وهذه اللحظات السريعة لتفوزي الفوز العظيم، وتتمتَّعي بالنعيم المقيم؟!

* * *

كَلِمَات مُضِيئَـــة

○ قد مضى في اللهو عمري، وتناهى فيه أمري..

ويح قلبي من تناسيه مقامي يوم حشري!

واشتغالي عن خطايا أثقلت والله ظهري[١]

○ إن هي إلاَّ أنفاسٌ تُعَد..

ورحالٌ تُشَد..

وعاريةٌ تُرَد..

والتراب من بعد..

ينتظر الخد[٢].

وَا حَســـرَتِي! وَا شَـــقْوَتِي مِن يَـــوْمِ نَشْـــرِ كِتَابِيَـــه!

وَا طُولَ حُزْنِي إنْ أَكُـــنْ أُوتِيتُـــــــهُ بِشَـــــــمَالِيَه

وَإذَا سُئِلتُ عَـــنِ الخَطَـــا مَـــاذَا يَكُـــونُ جَوَابِيَـــه

وَاحَرَّ قَلْبِـــي أَن يكُـــونَ مَعَ القُلُـــوبِ القَاسِـــيَة[٣]

تَمُرُّ سَاعَات أَيَّامِي بِـــلاَ نَـــدَمِ

وَلاَ بُكَاءٍ وَلاَ خَوْفٍ وَلاَ حُـــزْنِ

(١) التوبة النصوح.

(٢) الرقاق.

(٣) الرقائق.

مَا أَحْلَمَ اللهَ عَنِّي حَيْثُ أَمْهَلَنـــي

وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي

أَنَا الَّذِي أَغْلَقَ الأَبْوَابَ مُجْتَهِدًا

عَلَى المَعَاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُنِي

دَعْنِي أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدُبُهَا

وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بِالتَّسْبِيحِ وَالحُــزْنِ

دَعْنِي أَسِحُّ دُمُوعًا لاَ انْقِطَاعَ لَهَا

فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنهَا تُخَلِّصُنِي[1]

* * *

(١) القصائد الزهديات.

مَن صَديقَاتك؟

قضية من أخطر القضايا على الإنسان في الدنيا والآخرة، بها يرتفع المرء إلى أعلى علِّيين، وبها يسقط في أسفل سافلين..

قضية همُّ الصغار والكبار، والرجال والنساء، والشباب والفتيات .. إنها قضية الصداقة والأصدقاء، قضية المحبة والخلّة، قضية جليسات الصلاح وجليسات السوء.

يقول الرسول ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخَالل**»[1].

الإنسان على دين صاحبه، المرأة على دين صديقتها، الفتاة على دين خليلتها، الشابة على دين قرينتها .. فإن كانت الصديقة صالحة كانت هذه صالحة، أو كانت فاسقة كانت مثلها فاسقة.

فلتختاري – أيتها الأخت – صديقتك وصاحبتك، حتى لا تردِّي معها إلى أسفل سافلين.

وإذا أردت أن تعرفي خطر صديقة السوء، فانظري .. من جعل أبا طالب، عم رسول الله ﷺ خالدًا مخلدًا في ضحضاحٍ من النار بعد أن كان على قاب قوسين أو أدنى من الإسلام .. أو ليس هو صديق السوء أبو جهل عليه لعنة الله؟

* * *

(١) صحيح سنن أبي داود ٤٠٤٦ ، وصحيح الجامع ٣٥٤٥ ، وفي رواية : (المرء على دين خليله) أنظر : مشكاة المصابيح ٥٠١٩.

الصديقان قسمان:

يقول الله ﷻ: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾(١)..

الله أكبر .. كيف تنقلب الموازين فتصير المحبة بغضًا وتصير الصداقة عداوة؟

كلُّ الصديقات، كلُّ الصاحبات،كلُّ الخليلات .. سوف تُصبِح صداقتهن عداوةً يوم القيامة، إلاَّ فريق واحد، إلاَّ طائفة واحدة .. هن اللاتي كانت صداقتهنَّ لله، وكان لقاءهنَّ على تقوى الله، وكان اجتماعهنَّ على القرآن وذِكر الله.

يقول الله ﷻ بعد بضع آيات من هذه الآية، مُبيِّنًا جزاء أولئك المجرمين غير المتقين:

﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾(٢).

○ لقد جاءتكن الآيات فرددتموهن، وجاءتكنَّ الواعظات والمذكِّرات والناصحات، فسخرتنَّ منهن، واستهزأتنَّ، وكرهتموهنَّ واستكبرتن؛ فجزاؤكنَّ اليوم المكوث في النار، لا تُسمع شكواكنَّ

---

(١) سورة الزخرف: الآية٦٧.

(٢) سورة الزخرف: الآية٧٤-٧٨.

ولا يُنفع استعتابكن .. جزاء بما كنتن تفعلن.

○ **ياويلتي..**

يقول الله ﷻ مصوِّرًا ذلك الندم الذي تندمه صاحبات السوء، اللاتي التقين على معصية الله، وتفرَّقن على معصية الله: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً**﴾[1].

يوم القيامة، تعض هذه ظلمت نفسها بالمعصية والفسوق.

﴿**عَلَى يَدَيْهِ**﴾ وإن كانت امرأة فهي تعضُّ على يديها من الندم والتأسُّف والأسى والحزن .. بل إنها من شدَّة الحسرة والندم، لا تكفي بعضِّ إصبعها فقط، ولا تكتفي بعضِّ يدٍ واحدة فحسب، بل إنها تعضُّ يديها الاثنتين.

لكن .. وا أسفاه .. لقد ندمت في ساعة لا ينفع فيها الندم، فقد فات الأوان..

لن تنفع الآهات؟!..

لن تنفع الشكوى .. لن تنفع الدعوات .. لن تنفع الباكيات سيول الدمع والعبرات.

﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**﴾

---

(١) .

وتقول – إن كانت امرأة –: يا ليتني سلكت طريــق رســول الله!.. يا ليتني أطعته في أمره وانتهيت عن نهيه؟.. يا ليتني التزمــت بدين الله الذي جاء به!.. يا ليتني صاحبت المتمسكات بسُنته!

﴿يَا لَيْتَنِي﴾: بدأت تولول، وقد كانت حول المعاصي تدندن، انتبهت الآن وقد كانت في الدنيا في غفلة تتناسى..!

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾

ماذا؟!

أتفرِّطين في صديقتك وتتركينها بهذه السهولة؟!.. أتتبرَّئين من صاحبتك وخليلتك في هذا الموقف العصيب؟!

لماذا؟ ﴿**لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي**﴾.

الله أكبر!.. كم من صديقةٍ سوف تتبرَّأ من صــديقتها يــوم القيامة! كم من حبيبةٍ سوف تتخلَّى عن حبيبتها في ذلك الموقــف الرهيب!

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾

كادت أن تدخل طريق الهداية في الدنيا .. كادت أن تُصلِّي .. كادت أن تحفظ القرآن .. كادت أن تُطيع الله في كلِّ مــا أمــر ، وتبتعد عن كلِّ ما نهى الله عنه وزجر..

ولكن، أتت هذه الصديقة الشريرة، وجليسة السوء فصدَّتها عن ذِكر الله، وأضلَّتها عن طريق الهدايــة، وجرَّتهــا إلى المسلســلات والأغنيات، إلى الاتصالات، إلى الأسواق، إلى المزابــل .. وقالــت

«هذه خير من المسجد والقرآن»، فصدَّقتها، وكذَّبت الله، واختارت طريق الشيطان، وتركت طريق الرحمن .. فكان جزاؤها الندم الشديد، والحسرة التي تقطع نياط القلوب.

وإن كانت هذه الصديقة الحمقاء قد سمعت لتلك الصديقة الشريرة وجليسة السوء فدخلتا النار سويا، فإنَّ هناك امرأةً عاقلةً وفتاةً لبيبةً دخلت طريق الهداية في الدنيا، وسارت به من غير تعبٍ ولا ملل، من غير ريبةٍ ولا انتكاسةٍ ولا شكٍّ، وفي وسط الطريق جاءها جليسة السوء، وصديقة الشر، وقرينة الخيبة فقالت لها : هل تصدِّقين أن هناك جنة ونارًا؟.. أنَّ هناك ثوابًا وعقابًا؟!

اتركي هذا الطريق، وتمتعي بالدنيا ما دمت فيها، فأنت في بداية العمر ومقتبل الشباب.

لكنَّ هذه المرأة العاقلة ركلت هذه الصديقة برِجلها، وداستها تحت قدميها، وسارت في طريق النور والهداية، حتى وصلت إلى الجنة، وتمتَّعت بنعيمها، وجلست تتذكَّر مع خليلاتها المؤمنات الطاهرات أيامها الخوالي في الدنيا، مع تلك القرينة السيئة، وتلك الصديقة المفسدة، فنظرت هي وصاحباتها إلى النار، فوجدتها في أسفل سافلين، فحمدت الله على النجاة، وشكرت الله على الهداية.

يقول الله ﷻ مصورًا هذا المشهد:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي

﴿سَوَاء الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾[1].

من فوقهنَّ نار، ومن تحتهنَّ نار، يجعن فيها .. فيقدَّم لهنَّ الزقوم، مرارته أشدُّ من الحنظل، ويشتبك شوك هذه الشجرة الخبيثة في حلوقهنّ، فيطلبن شرابًا يُبعد المرارة ويُزيل الشوك ويُطفئ اللهيب، فيسقين ماءً حميمًا ساخنًا، فتتقطَّع أمعاؤهن منَّ حرارته .. عذابٌ فوق عذاب فوق عذاب..

وفي الخاتمة:

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾...

فبعد هذه الوجبة يغادرن هذه المائدة، عائدات إلى مقرهنَّ الدائم، إلى النار .. إلى السعير .. إلى الجحيم.

* * *

---

(١) سورة الصافات : الآيات ٥٠-٦٨.

صِفَات صَدِيقَات السُّـــوء

أختاه..

إذا أردت أن تعرفي صفات صديقات الســـوء فخُـــذيها مـــن القرآن.

يقول ﷻ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِـــكَ الَّـــذِينَ خَســـرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُـــمْ فِيهَـــا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّـــهُ كَـــانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]

فريق من عباد الله طيبين طاهرين، رجالاً ونساءً، فهل انضممتنَّ إليهم؟

هل سرتنَّ في طريقهم؟ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[2].

اشتغلتنَّ بالاستهزاء بهم، والضحك عليهم، وكـــان الأَولى أن تكنَّ معهم، وتذكرن الله ربكنّ، ثم الجزاء يـــوم القيامـــة .. مـــاذا يكون؟

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٠٣-١٠٩.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١١٠.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١].

حياهّنَّ سخرية، وعيشهنَّ استهزاء، ودنياهنَّ لهو ولعب .. منازلهن الأسواق، ومجالسهن الفسق والفجور ومساوئ الأخلاق، وكلامهنَّ الغيبة والنميمة، والفحش وتمزيق الأعراض، وشرابهن الدخان والمفترات والمخدرات .. تعلو شفاههنَّ الضحكات العاليات، وتعلو أبصارهنَّ الغشاوة، وفي آذانهن وقرٌ عن سماع الهدى .. بصائرهنَّ مطموسة، وقلوبهنَّ منكوسة، أعينهنَّ متحجرة، وأفئدهّنَّ معمية.

تجدين في مجالسهنَّ كلَّ شيء إلا القرآن .. وتلقين على ألسنتهنَّ كلَّ شيءٍ إلا ذِكر الله..

يسمعن صوت الحقِّ يصدح في بيوت الله، فلا يقمن يصلين، بل يقدمن عليه اللهو واللعب.

حياهّنَّ كحياة البهائم، بل البهائم خير منهن: **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [٢].

حياهّن طعامٌ وشرابٌ ولعبٌ ونوم: **﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾** [٣].

لا يعرفن طعم الإيمان، ولا لذَّة الصلاة.

(١) سورة المؤمنون : الآية ١١.
(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٧٩.
(٣) سورة محمد: الآية :١٢.

هربن من المَلِكِ وهنَّ إماؤه، وبين يديه، وفي قبضته.

الله أكبر!.. والله إني لأعجب.

كيف يهربن منه وهو الرحمن الرحيم؟!

كيف يهربن منه وهو الجواد البرُّ الكريم؟!

ما الذي فعله بهنَّ حتى عصينه ولم يطعن أمره؟!.. ألم يخلقهن؟!.. ألم يرزقهن؟!.. ألم يعافهنَّ في أجسامهنَّ وأموالهن؟!

كيف يهربن منه وهو الجبار المهيمن؟!

كيف يهربن منه وهو القويُّ العزيز؟!

كيف يُلبين دعوة الشيطان ويتركن دعوته؟!

كيف يهربن من كلامه وكتابة إلى الصور العارية والأغاني الماجنة أغراهنَّ حِلم الحليم، أغراهن كرم الكريم.

أأمنَّ مكر القوي العزيز؟.. أأمنَّ انتقام ذي الانتقام؟

ألم يخفن أن يأتيهنَّ ملك الموت وهنَّ على المعاصي عاكفات؟

ألم يخفن أن يأتيهن ملك الموت وهن للصلاة مضيعات؟

ألم يخفن أن يأخذهنَّ الله أخذ عزيز مقتدر؟

﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾..

* * *

○ **أختاه..**

عودي إلى ربِّك، واتَّقي النار، اتَّقي السعير .. إنَّ أمامك أهوالاً وصعابًا، إنَّ أمامك نعيمًا وعذابًا، إنَّ أمامك ثعابين وحيَّات وأمورًا هائلات، والله الذي لا إله إلا هو لن تنفعك الضحكات، لن تنفعك القصَّات والتسريحات، لن تنفعك الأغاني الماجنـــة، لـــن تنفعـــك الموديلات.

لن تنفعك إلاَّ الحسنات والأعمال الصالحات.

ألا وإني أدعوك إلى ترك رفيقات السوء وصـــديقات الفســـاد وجليسات الهوى..

ابتعدي عنهنَّ، ولا تقتربي منهنَّ، قبل أن تندمي في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثم سيري في طريق الهداية مع تلك الوجوه الطيِّبة النيرة، مع تلك القلوب البيضاء النقية، مع تلك الألسن النظيفة الطرية .. اصـــحبي أهل الخير والقرآن .. انضمي إليهن تشعري بطعم الحياة وحـــلاوة الإيمان، ويوم القيامة تحشرين معهن إلى الجنات الطيبات بإذن الله.

وانظري إلى ثواب الخليلات والصديقات المتقيات، يوم القيامة .. يقول الله ﷻ:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَـــا كُنْـــتُمْ

تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[١].

قال ﷺ : «**سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظلــه**».. وذكــر منهم... «**...رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**»[٢].

وقال ﷺ : «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحــابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي؟**»[٣].

وقال ﷺ : «**قال الله عزَّ وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»[٤].

وقال ﷺ «**قال الله تعالى: وجبــت محــبتي للمتحــابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في**»[٥].

* * *

(١) سورة الزخرف : الآية ٦٧-٧٣.
(٢) البخاري ومسلم . وانظر : صحيح الجامع: ٢٥٩٧.
(٣)صحيح الجامع: ١٩١١.
(٤)صحيح الجامع: ٤٣١٢.
(٥) صحيح الجامع : ٤٣٣١.

كَلِمَات مُضِيئَــة

يُحيُونَ لَيْلَهُم بطَاعَةِ رَبِّهِــم بتِلاَوَةٍ وَتَضَــرُّعٍ وَسُــؤالِ
وَعُيُونُهُم تَجْــرِي بفَــيْضِ مِثْلُ انْهِمَال الوَابِلِ الهَطَّــال
بِوُجُوهِهِمْ أَثَــرُ السُــجُودِ وَبِهَا أَشِعَّةُ نُورِهِ المُتَلاَلِــي[١]

○ من عرف الله أحبَّه وخافه ورجاه وتوكَّل عليه وأناب إليــه ولهج بذكره واشتاق إلى لقائه واستحيا منه وأجلَّه وعظمه[٢].

* * *

○ قال أحد الصالحين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا، وما ذاقوا أطيب ما فيها؟.. قالوا: وما أطيب ما فيها؟

قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليــه، والإعراض عما سواه[٣].

* * *

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالحَيَــاةُ مريــرَةٌ
وَلَيْتَكَ تَرْضَــى وَالأَنَــامُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنكَ عَــامِرٌ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ العَالَمِينَ خَرَاب
إذَا صَحَّ مِنكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ
وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّــرَاب

---

(١) إغاثة اللهفان.
(٢) مدرج السالكين.
(٣) مدرج السالكين.

عَلَيْـــــكَ بِطَرِيـــــقِ الحَـــــقِّ
وَلاَ تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّـــالِكِينَ
وَإِيَّـــاكَ وَطَرِيـــقُ البَاطِـــلِ
وَلاَ تَغْتَرُّ بِكَثْـــرَةِ الهَـــالِكِين[٢]

* * *

=

(١) مدرج السالكين.
(٢)مدرج السالكين.

أَنَا طَفْشَانَــةٌ!

مرضٌ من الأمراض، ومشكلةٌ من المشاكل، ووباءٌ من الأوبئــة يجعل الحياة موتًا، والدنيا نكدًا وهمًّا، واللذَّة تعاسة، ويصير الأرض الواسعة ضيقة.

أنه مرض «الطفش» وضيق الصدر.

ذلك المرض الذي أصاب الكبير والصغير، الأمير والحقير، الفتى والفتاة، الشيخ الهَرِم والشاب اليافع .. فما أعراض هذا المرض؟ وما أسبابه؟ وما السبيل إلى علاجه؟

• **أختاه..**

يبدأ هذا المرض بإنسانةٍ قطعت الصلة بينها وبين الله ســبحان وتعالى، لا تصلِّي، وإن صلَّت ففي بعض الأحيان .. هائمةٍ علــى وجهها في هذه الأرض، فَرِحَةٍ بشبابها، مُتسكِّعةٍ مــع صــويحباتها، تناست آخرتها، تُغنِّي للدنيا أعذب الألحان، وتُنشِد فيهــا أجمــل الكلمات، بعيدةٍ كلَّ البعد عن منهج الله ﷻ وطريق رسوله ﷺ.

معرضةٍ عن ذِكر الرحمن، مُقبلةٍ على ذِكر الشيطان.

وبعد فترة..

بدأت هذه الإنسانة تشعر بحالات ومشاكل غريبة، بدأت تشعر بطفشٍ واكتئاب، هموم وقلق، عصبية وضياع، فراغ وضيق صدر.

ثم بدأت تبحث عن حلٍّ لهذه المشاكل، فأســرعت شــياطين الإنس والجنِّ إليها تعاونها وتساعدها، قدَّمت لها وسائل كثيرة لقتل

هذا الفراغ، وإبعاد هذا الضيق: أفلام، ومجـــلاَّت، ســـهرات مـــع الأخلاَّء والخليلات، تسكُّع، واتصالات، ومخدّرات.

فازدادت الحالة سوءًا، و لم يُعالَج المرض، فزادت في العـــلاج، رغبةً في أن تملأ هذا الفراغ في نفسها، وتبعد هـــذا الضـــيق عـــن صدرها.

فرجلت شعرها، وغيرت ثوبها، بدلت صـــديقاتها وحبيباتهـــا، غيرت الأفلام القديمة والأغاني العتيدة، إلى كل جديد وحـــديث، سافرت، وهربت، وساحت، ثم عادت.

عادت لتزداد المشكلة تعقيدًا، ورجعت ليتطوَّر المـــرض أكثـــر وأكثر، عادت لتزداد حيرةً وقلقًا، وتعاسة .. عادت ليزداد الصدر ضيقًا، وتزداد النفس طفشًا وهمًا.

بدأ البدن يتأجَّج، يضيق، يريد الخلاص من النفس.

هذه النفس التي يوجد بها فراغ لا يعرف البدن كيف يملؤه، بها وحشة لا يدري البدن كيف يزيلها، بها هموم وآلام لم يجد البـــدن طريقةً لإبعادها.

فتُمضي المسكينة وقتها بالبكاء الحار والنحيب المر، وتقضـــي حياتها بالهروب من نفسها، والتمرُّد على أهلها ومجتمعها.

* * *

أسباب الطفش

يقول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْـــرَحْ صَـــدْرَهُ**

لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (١).

سبحان الله!

ما أعظم هذه الآية!

أين الحائرات ليجدن سبب مشاكلهن؟

أين التائهات المكتئبات ليعلمن سبب مرضهن؟

ثلاث صفات وصف الله بها الصدر البعيد عن هداية الله: ضيقًا: أي مغلق مطموس، لا يتَّسع لشيء من الهدى، حَرِجًا: لا ينفذ فيه الإيمان والخير، فهو يجد العسرة والمشقَّة في قبوله، كأنما يصعَّد في السماء .. أي أنَّ حال هذا الصدر كأنما يصعد بصعوبة وباستمرار في طبقات السماء، فينقص عنه الهواء، فيضيق، فيزداد ضيقًا، حتى لكأنه يختنق.

وهذا هو الذي تشعر به الإنسانة الطفشانة ضيقة الصدر.

هذا هو الذي تحسُّه الفتاة التي تتخطَّفها الهموم والآلام والقلق والحيرة.

فهي تشعر بأنَّ رُوحها تصعد، وتحسُّ أنها في سجن، وأنَّ صدرها في ضيق.

إذن فالسبب الأول في هذا المرض هو البعد عن هداية الله.

---

(١) سورة الإنعام: الآية ١٢٥.

يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾[(١)].

إنَّ التي تعرض عن ذِكر الله، وتخالف أمر الله وتخالف أمر رسول الله ﷺ ستُصبح معيشتها وحياتها ضنكًا .. ضيقة .. مليئة بالهموم والآلام والطفش والفراغ.

ولو كانت المرأة في عنفوان شبابها، وتملك من الأموال الكثير، ومن الذهب والثياب الكثير، ومن الصديقات الكثير، ثم أعرضت عن ذكر الله؛ فسيصيبها الطفش وضيق الصدر، وسترى معيشتها وحياتها ودنياها ضنكًا .. ستضيق بها الأرض بما رحبت، لن تنفعها أموالها، لن تحمل صديقاتها هذا الهمَّ من قلبها وصدرها، لن يُخفِّفن عنها، لن تنفعها تلك الثياب، وذلك الذهب..

لماذا وهي الشابة؟.. لماذا وهي الغنية؟.. كيف حدث لها ضنك العيش هذا؟!

لأنها أعرضت عن ذكر الله..

سترى معيشتها ضنكًا عقوبةً من الله.

يحدث لها ضنك العيش وضيق الصدر لأنها كانت قاسية القلب، لا تتأثَّر بالآيات والمواعظ، مُنكبَّة على الدنيا، تجري خلف الشهوات، وتلهث وراء المنكرات، وكلُّ همِّها اللذائذ والموبقات، لا يقرُّ لها قرار، فمن ذنبٍ إلى معصية، ومن صغيرةٍ إلى كبيرة..

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

تمل من اللذَّة فتنتقل إلى غيرها .. تبحث عن السعادة في الهاتف والسوق، والفيلم والأغنية، والنكتة والطرفة والمجلـــة والتســـريحة، والموضة والمرآة.

تعيش في تعاسة وانتكاسة، لا تخاف من الموت وأهوال الحساب وكرب القيامة، غافلة عن الله، متقاعسة عن الخير .. في وجههـــا ظلمة، عكستها ذنوبها ورُوحها المظلمة..

* * *

العلاج

إنَّ لكلِّ مرض علاجًا، وما وضع الله داءً إلا ووضع له دواءً .. يقول الله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

فما العلاج من هذا المرض؟

وما السبيل إلى إبعاد هذا الطفش؟

وكيف الطريق إلى شرح ضيق الصدر هذا؟

الإجابة عن كلِّ هذه الأسئلة عند الذي خلق أنفســـنا ويعلـــم صلاحها وفسادها وصحتها ومرضها.

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٨.

○ يقول الله ﷻ: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾[1].

ومن اتبعت هدى الله فلن تضلَّ ولن تشقى، ولن تتخبَّط في القلق والاكتئاب والحيرة والفراغ، لن تشعر بالطفش، ولن يضيق صدرها أبدًا .. وكيف يضيق صدرها وهي تسير على منهج الله متبعة لهداه؟

○ ويقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [2].

فالعلاج الثاني هو ذِكر الله على كلِّ حال، تعلُّق القلب به في كلِّ حين، تسبيحه في كلِّ وقت.

فبذكر الله تُدفع الآفات وتُكشف الكربات وتهون المصيبات..

وبذكر الله تطمئنُّ القلوب وتأنس الصدور .. وكيف لا تطمئنُّ هذه القلوب وهي متصلة بالله خالقها، مستأنسة بجواره، آمنة في جانبه وحماه؟!

فتذهب عنها تلك الوحشة، ويبتعد ذلك القلق، وتُفرَّج تلك الهموم، ويزول ذلك الضيق.

○ ويقول – عز وجل – ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ**

(١) سورة طه : الآية ١٢٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ١٢٣.

حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1].

فالعلاج الثالث هو الإكثار من النوافل بعد الفرائض؛ فهي تجعل نفسك متصلة بالله تعالى، وتجعل قلبك ذاكرًا له ﷻ..

صلِّي الصلوات الخمس مع سُننها، صومي النوافل: كالأيام البيض، والإثنين والخميس.

قومي الليل، وناجي ربَّك معبودك، واطلبي منه ما أردت، أكثري من قراءة القرآن، واحفظي منه ما استطعت، جاهدي نفسك حتى تنهضي لصلاة الفجر، صلِّيها وداومي على صلاتها .. ثم انظري إلى نفسك، ماذا سيطرأ عليها؟

ستشعرين بحلاوة، بزيادة إيمان، تحسِّينه في قلبك، في اتِّساع صدرك، في هدوء نفسك..

○ وكما أخذنا من كلام الله تعالى شفاءً لهذا المرض، وحلاًّ لهذه المشكلة، فلا ننسى كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى؛ فإنَّ في كلامه عليه الصلاة والسلام شرحًا للصدر، وطمأنينة للقلب، وأنسًا للنفس.

قال ﷺ: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إنِّي عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حُكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيت به نفسه، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في**

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٧-٩٩.

علم الغيب عندك – أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي؛ إلاَّ أذهب الله همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا»[1].

- **أختاه..**

ارفعي يديك إلى الله مولاك كلَّما شعرت بضيق، ارفعي يديك وادعي بما شئت، اشكي بثَّك وحزنك إليه، اتركي دموعك تسيل على خدَّيك لتُخرج ما في نفسك من ضيقٍ وهمٍّ وألم.

○ وآخر علاج لهذا المرض هو اختيار الرفقة الصالحة الطيبة اللاتي يسرن على منهج الله وسُنة رسوله ﷺ.

اتركي رفيقاتك القديمات، ابتعدي عنهنَّ ولا تقتربي منهنَّ ولا تتصلي بهنّ، وعيشي مع هذه الرفقة الصالحة؛ تشعري بطعم الدين، وتحسِّي حلاوة الإيمان.

عيشي معهن..

ثم انظري إلى نفسك بعد فترة، انظري إلى حالك، انظري إلى صدرك، تجدينه قد اتَّسع بعد ضيق، تجدينه قد استقرَّ بعد ما كان يصَّعد في السماء، تجدينه قد غُسل تمامًا وهرب منه الشيطان.

عيشي معهن..

تجدي للإيمان حلاوة، وللطاعة لذَّة، وللحياة هدفًا..

---

(١) صحيح الكلم الطيب : ١٠٥.

عيشي معهن .. وتذكَّري ذلك الذي قال الله تعالى فيه: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

○ **أختاه..**

يقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[2].

ويقول ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾[3].

ويقول سبحانه: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[4].

○ **أختاه..**

قارني بين هذه الحياة السعيدة الطيبة، وبين حياة البعيدين عن منهج الله.

قارني بين المستقيمات الصالحات الطاهرات، وبين الحائرات التائهات، التعيسات الشقيات، المليئات بالشكِّ والهموم والطفش

(١) سورة الأنعام : الآية ٧١.
(٢) سورة محمد : الآية ١٧.
(٣) سورة طه : الآية ٩٦.
(٤) سورة النحل : الآية ٩٧.

وضيق الصدر.

أولئك الحائرات اللاتي يُمثِّلهنَّ شعر ذلك الشاعر(١).

الذي يقول:

جئتُ لاَ أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَلَكِنِّــي أَتَيْــتُ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقًــا فَمَشَــيْتُ
وَسَأَبْقَى سَائِرًا إنْ شِئْتُ هَذَا أمْ أَبَيْــتُ
كيْفَ جِئتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِــي؟ لَسْتُ أَدْرِي

أَجَدِيدٌ أَمْ قَدِيمٌ أَنَا فِــي هَــذَا الوُجُــود
هَلْ أَنَا حُرٌّ طَلِيق، أَمْ أَسِيرُ فِــي قُيُــود؟
هَلْ أَنَا قَائِدُ نَفْسِي فِي حَيَاتِي، أَمْ مَقُود؟
أَتَمَنَّــــى أَنَّنِــــي أَدْرِي، وَلَكِــــن لَسْتُ أَدْرِي

وَطَرِيقِي .. مَا طَرِيقِي؟ أَطَوِيلٌ أَمْ قَصِير؟
هَلْ أَنَا أَصْعَدُ، أَمْ أَهْــبَطُ فِيــهِ وَأَغُــور
أَأَنَا السَّائِرُ فِي الدَّرْبِ، أَمِ الدَّرْبِ يَسِير؟
أَمْ كِلاَنَا وَاقِــفٌ، وَالــدَّهْرُ يَجْــرِي؟ لَسْتُ أَدْرِي

أَوَرَاءَ القَبْرِ بَعْدَ المَوْتِ بَعْــثٌ وَنُشُــور

(١) إيليا أبو ماضي ، ديوان الجداول ، قصيدة الطلاسم. .

فَحَيَــــاةٌ فَخُلُـــودٌ، أَمْ فَنَـــاءٌ فَـــدُثُور
أَكَلاَمُ النَّاسِ صِدْقٌ، أَمْ كَلاَمُ النَّاسِ زُور
أَصَـــحِيحٌ أَنَّ بَعْـــضَ النَّـــاسِ يَـــدْرِي لَسْتُ أدْرِي

قَدْ رَأَيْتُ الشُّهْبَ لاَ تَدْرِي لِمَاذَا تُشْرِق
وَرَأَيْتُ السُّحْبَ لاَ تَدْرِي لِمَاذَا تُغْـــدِق
وَرَأَيْتُ الغَابَ لاَ تَدْرِي لِمَـــاذَا تَـــوَرَّق
فَلِمَـــاذَا كُلُّهَـــا فِـــي الجَهْـــلِ مِثْلِـــي لَسْتُ أدْرِي

كُلَّمَا أَيْقَنْتُ أَنِّي قَدْ أَمَطتُ السَّتْرَ عَنِّـــي
وَبَلَغْتُ السِّـــرَّ سِرِّي، ضَحِكَتْ نَفْسِي
قَدْ وَجَدْتُ اليَأْسَ وَالحِيرَةَ، لَكِـــن لَـــمْ
فَهَـــلِ الجَهْـــلُ نَعِـــيمٌ أَمْ جَحِـــيم لَسْتُ أدْرِي

أَنَا لاَ أَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ حَيَـــاتِي المَاضِـــيَة
أَنَا لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِـــنْ حَيَـــاتِي الآتِيَـــة
لِيَ ذَاتٌ، غَيْر أَنِّي لَسْتُ أَدْرِي مَاهِيَـــة
فَمَتَـــى تَعْـــرِفُ ذَاتِـــي كُنْـــهَ ذَاتِـــي لَسْتُ أدْرِي

إِنَّنِي جِئْتُ وَأَمْضِـــي، وَأَنَـــا لاَ أَعْلَـــمُ
أَنَا لُغْزٌ، وَذِهَـــابِي كَمَجِيئِـــي طَلْسَـــمُ

وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللُّغْزَ.. لُغْــزٌ مُــبْهَمُ
لاَ تُجَادِلْ .. ذُو الحِجَى مَن قَــالَ إنِّــي لَسْتُ أدْرِي

أَترَاني قَبْلَمَا أَصْــبَحْتُ إنْسَــانًا سَــوِيًّا
كُنْتُ مَحْوًا، أَوْ مُحَالاً، أَمْ ترَانِي كُنْــتُ
أَلِهَذَا اللُّغْــزُ حَــلٌّ أَمْ سَــيَبْقَى أَبَــدِيًّا
لَسْــتُ أَدْرِي، وَلِمَــاذَا لَسْــتُ أَدْرِي لَسْتُ أدْرِي[1]

بئست الحياة .. وبئس العيش ..

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِــيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَــلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[2].

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [3]

لَسْتُ إلاَّ مُؤمِنًا باللهِ فِي سِــرِّي وَجَهْــرِي
أَنَا نَبْضَةٌ فِي صَدْرِ هَذَا الكَوْنِ كَيْفَ يَضِــيقُ
أَنَا نُطْفَةٌ أَصْبَحَتْ إنْسَانًا فَكَيْــفَ جهِلْــتُ

(١) القصيدة للشاعر إيليا أبو ماضي.
(٢) سورة الفرقان : الآية ٤٣.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢.

وَلِمَ التَّرَفُّعِ عَنْ تُرَابٍ مِنْهُ سوْفَ يَكُونُ قبْري
إنِّي لأَعْجَبُ لِلفَتَى فِي لهْوِهِ أَوَ لَيْسَ يَــدْرِي
إنَّ الحَيَاةَ قَصِيرَةٌ، وَالعُمْرَ كَالأَحْلاَمِ يَسْرِي(١)

* * *

(١) عبد الرحمن العشماوي : ديوان «صراع مع النفس».

كَلِمَات مُضِيئة

○ فلا عيش إلا عيش من أحبَّ الله، وسكنت نفسه إليه، واطمأنَّ قلبه به، واستأنس بقربه، وتنعَّم بحبِّه .. ومن لم يكن كذلك فحياته كلُّها هموم وغموم وآلام وحسرات[١].

* * *

○ فَفِي القلب شعثٌ لا يلمّه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة، لا يزيلها إلاَّ الأنس به .. وفيه حزن، لا يذهبه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه، وفيه فاقة لا يسدّها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذِكره وصدق الإخلاص له.

ولو أُعطِي الدنيا وما فيها لم تُسدّ تلك الفاقة منه أبدًا[٢].

* * *

○ الأنس ثمرة الطاعة والمحبة، فكلُّ مطيعٍ لله مستأنس، وكلُّ عاص لله مستوحش[٣].

* * *

(١) مدرج السالكين.
(٢)مدرج السالكين.
(٣)مدرج السالكين.

وأخيــرًا.

• **أختاه..**

والله ما وقفت هذا الموقف، ولا تكلَّمت بهـذا الكـلام، إلا لخوفي على هذا الوجه الأبيض، أن يصبح مسودًّا يوم القيامة، وعلى هذا الوجه المنير، أن يصبح مظلمًا، وعلى هذا الجسد الطـري أن يلتهب بنار جهنم.

والله ما وُجدتِ في هذا الدنيا إلا للعبادة: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(١).

لم تُخلقي للهو والعبث: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾(٢).

فاستعدِّى للقاء الله، وتذكَّري الرجوع إلى الله، ألا تفكرين؟ ألا ترجعين لرشدك؟

أتشكين في وعد الله ووعيده؟ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْـحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾(٣).

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

(٢) سورة المؤمنون: الآية: ١١٥.

(٣) سورة فاطر : الآيات:٥-٦.

والله إني أخاف عليك عذاب يوم عظيم، والله إني لك ناصح أمين؛ فاغتسلي بماء التوبة، وتوضئي بوضوء الرجوع والأوبة، واعلمي أنَّ أمم الشرِّ والفساد لك بالمرصاد، يريدون منك خلع الحجاب ورفع الثياب والتهتُّك في الأسواق، والتخلُّق بمساوئ الأخلاق، فلتخلفي ظنَّ أولئك الأوغاد، وتمسَّكي بدينك وشرفك وحجابك؛ فإنما الدنيا ظلٌّ زائل، والآخرة هي دار القرار..

واستمعي لذلك المؤمن النصوح المشفق الذي قام ينصح قومه قائلاً: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (١).

نعم والله .. سوف تذكرين هذا الكلام، والموعد يوم القيامة، وستعلمين يومئذٍ من كان على هدى، ومن هو في ضلال مبين .. ستعلمين من كان على نور، ومن هو في الظلام يتخبط:

---

(١) سورة غافر : الآيات ٣٨-٤٤.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [١].

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [٢].

* * *

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٢.

(٢) سورة هود: الآية ٨٨.

إلَيهَـــا

إلى تلك التي خرجت من بيتها متبرِّجة، تجرُّ حجابها، وتقـــود سيارتها، وتقول حرِّروني!

خَرَجَتْ تَقُودُ العَالَمِينَ إلَى الهَـــلاَكِ مَـــدَى
نَادَتْ بتَحْرِيرِ النِّسَاءِ مِنَ التَّدَيُّنِ وَالطُّهُـــور
ظَنَّتْ بأَنَّ الدِّينَ مَاتَ وَمَا تَبَقَّى مِـــنْ غَيُـــور
كَذِبَتْ لَعَمْرِ الله إنَّ دِمَاءَنَـــا تَغْلِـــي تَفُـــور
وَالله لَنْ تَضعِي الحِجَابَ وَطَرْفُنَا فِينَا يَـــدُور
لَنْ تَسْتَطِيعِي مَسَّهُ حَتَّى نُوَارَى فِي القُبُـــور
أَرْوَاحُنَا تَفْدِي الحِجَابَ قُلُوبُنَا بَلْ وَالنُّحُـــور
عُودِي لِرُشْدُكِ يَا رَشِيدَة، قَلِّبِي هَذِي الأُمُور
قَدْ أُحْكِمَتْ خُطَطُ الثَّعَالِبِ كُحِّلَـــتْ عَـــينُ
لَمْ يَبْقَ لِلیَوْمِ السَّعِيدِ سِوَى الخُـــرُوجِ مِـــنَ
فَسَتَخْرُجُ الحَرْبَاءُ كَاشِفَةً لِهَاتِيـــكَ الشُّـــعُور
وَالسُّلحِفَاةُ تَزَيَّنَتْ، وَالخُنْفِسَاءُ بهَـــا عُطُـــور
وَأَتَانُنَا[1] تَجْرِي وَيَجْرِي خَلْفَهَا جَحْشٌ نَفُور
وَالقِرْدُ قَهْقَهَ ضَاحِكًا، وَالتّيسُ يَغْمُرُهُ السُّرُور

(١) الأتان : أنثى الحمار ، أعزك الله .

وَالذِّئْبُ يَقْضِي وَطرَهُ، وَكَـــذَلِكَ الكَلْـــبُ
وَاللَّذَّةُ الحَمْرَاءُ تَرفلُ، لاَ عُقُـــودُ وَلاَ مُهُـــور
وَكَأَنَّنَا فِي غَابَةٍ .. الظُّلْمُ فِيهَـــا وَالشُّـــرُور
وَكَأَنَّكِ الخُفَّاشُ يَهْربُ خَائِفًا مِن كُلِّ نُـــور
مِمَّنْ أَرَدتِ تَحَرُّرًا؟ أَمِنَ الرَّسُول. أَمِ الغَفُور!
إِيَّاكِ مِنْ خُبْثِ الثَّعَالِب، قَوْلُهُم كَذِبٌ وَزُور
يَا أُختُنا، تُوبِي لِرَبِّك، وَاذْرُفِي الدَّمْعَ الغَزِيـــر
أَوَ مَا تُرِيدِينَ الجنَانَ وَلاَ الظِّلاَلَ وَلاَ القُصُور؟
أَوَ مَا تُرِيدِينَ السِّيَادَةَ بَيْنَ وِلْـــدَانٍ وَحُـــور؟
أُخْتَاهُ فَلْتَحْمِي حِجَابَـــكِ وَاخْتَفِـــي خَلْـــفَ
صُونِي عَفَافَكِ يَا عَفِيفَـــة، وَاتْرُكِـــي أَهْـــلَ
لاَ تَسْمَعِي قَوْلَ الخَلاَعَةِ وَالْمُيُوعَةِ وَالفُجُـــور
فَسَتَذْكُرِينَ نَصِيحَتِي يَوْمَ السَّمَاء غَدًا تَمُـــور
يَوْمَ يَصْرُخُ ظَالِمٌ: يَا وَيْلَتَـــاهُ .. وَيَـــا ثبُـــور

أبو حسَّـــان

الفهرس